

إشكالية نقل ثقافة القصص الأجنبية للطفل العربي المسلم

Transfer Problematic of Foreign Stories' Culture
to the Arab Muslim Child

أ. سمير بوشاقور الرحمانى *

تاريخ الاستلام: 2019-02-01 تاريخ القبول: 2019-03-12

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى البحث في علاقة القصة المكتوبة للطفل العربي المسلم، وما مدى تأثره من عدمه بالعناصر الثقافية الغربية التي يمكن أن يجدها خلال قراءته للقصة الأجنبية المترجمة للغة العربية. لذلك عمدت إلى دراسة عدة جوانب ذات صلة بالترجمة والطفل والتكيف الثقافي. فأتجهت إلى تحديد مفهوم هذا التكيف أولاً، ثم تبين أهميته في تشكيل شخصية المتلقي الصغير، فدوافع لجوء المترجم إليه. وأخيراً حللت وعلقت على ترجمات لبعض المقاطع القصصية التي تأثرت بهذا التكيف وأوضحت نقاط التقاء وتنافر هذا الإجراء مع أمانة النص الأصل.

وختاماً خلصت إلى ضرورة حماية الطفل من العناصر الدخيلة على ثقافته والموجودة في القصة الأجنبية.

كلمات مفتاحية: طفل؛ ثقافة؛ ترجمة؛ قصص؛ تكيف.

Abstract: This study aims to investigate the relationship between the written story and the Arab Muslim child; and if this latter is or not being affected by the strange cultural elements that he can find in the

* جامعة أحمد بن بلة؛ وهران 1؛ معهد الترجمة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: samir.errahmani@hotmail.com

foreign translated story into Arabic language .That is why I searched in various fields related to children and their stories; both original or translated ones.

I concluded that it is so important to protect the child's culture from intruder elements of the foreign story, especially if this receiver is not guided by a grownup person such a parent who can explain to him what is different from his local culture.

Keywords: acculturation, child, culture, stories, translation.

مقدمة: إنَّ أصعب ألوان الكتابة على الإطلاق هي الكتابة للأطفال. ولا يعني هذا أن نتعامل حين الكتابة لهم بقليل من الاكتراث؛ بل على العكس من ذلك حيث تتطلب الكتابة أو التَّرجمة من أجل الطَّفل مهارات إضافية لا يحتاجها الكاتب الذي يكتب للكبار. ومن التَّهديدات التي يتعرَّض لها الطَّفل العربي في مجال الكتابة له تلك القصص التي يتسارع المترجمون وغير المترجمين في الوطن العربي إلى نقلها للغة العربيَّة ضاربين عرض الحائط ضرورة الوقوف عند شروط ومقتضيات هذا النُّقل ومتجاهلين خطرها النِّقاييَّ على هويَّة المتلقِّي الصَّغير.

ذلك ما جعلني أضبط المفاهيم والتَّحاليل والنتائج المتوصِّل إليها لهذه المقالة في عنوان: 'إشكالية نقل ثقافة القصص الأجنبية للطفل العربي المسلم' وعليه تتمثَّل الإشكالية الأساسيَّة لهذا البحث في السَّؤال الآتي: هل تُبرَّر خصوصيَّة النُّقافة العربيَّة الإسلاميَّة لجوء المترجم العربي إلى تكييف القصص الطُّفولي الأجنبي ثقافيًّا حين ترجمته له؟

2. ثقافة الطَّفل وثقافة المترجم:

1.2 تثقيف الطَّفل: كلَّما اختلفت ثقافات الأسلاف والأجداد وتعدَّدت على وجه الأرض؛ إلَّا وسعى كلَّ شعب إلى ترسيخها في أذهان أطفاله منذ نعومة

أظافهم حتى لا تزول وتُنسى وتندثر، وذلك بالأخص من خلال القصص التي يعدها الطفل أكثر مصداقية، والتي تُشكل المصدر الأهم لثقافته.

والجدير بالذكر أن للأطفال داخل المجتمع الكبير الواحد ثقافتهم الخاصة أيضاً التي تُميزهم عن غيرهم من فئات المجتمع الأخرى (مراهقون، كهول شيوخ،...) فنجد لهم عادات وقيم ومعايير ومواقف واتجاهات ينفردون بها؛ فهم بذلك يُشكلون ثقافة خاصة بهم هي ثقافة الأطفال Children's Culture تتفق مع الثقافة الأم في المبادئ الرئيسية الكبيرة وقد تختلف معها في بعض النواحي الثانوية، فهي بذلك ليست تصغيراً أو تبسيطاً لثقافة الراشدين. ثم إن ثقافة الأطفال نفسها تختلف حسب اختلاف مراحل الطفولة المتعاقبة، وتختلف كذلك حسب الوسط المعيشي للطفل (ريف/ مدينة). وهذا ما توضّحه نيارس في قولها أن ثقافة الطفل ثقافة أصلية، هي نتاج احتكاكه اليومي بوسطه المعيشي ونتاج فضوله اللا محدود.

"...sa culture est essentiellement fondée sur sa vie

quotidienne, où l'altérité culturelle a peu de place." ¹

ولكن تكاد تنحصر ثقافة الطفل في بيئته فقط، فهو يفتقر غالباً إلى معرفة والعلم بثقافات الغير، عكس القارئ الراشد الذي نجده أكثر إحاطة بثقافات الشعوب الأخرى وخاصة إذا كان من المطالعين. وهذا ما يُشكل عقبة ثقافية أمام الطفل في فهم والتألف مع نص أو قصة تنتمي لثقافة مخالفة جداً عن ثقافته. أمّا إذا تشابهت الثقافات أو تقاربت؛ فإنّه من المحتمل أن لا يُشكل ذلك لبساً على ذهن القارئ الصغير.

2.2 المترجم المثقف: يدعونا الحديث عن التّكييف الثّقافيّ الذي سيقوم به المترجم خلال ترجمته للقصص الأجنبي للغة العربية إلى الحديث عن مستواه الثّقافيّ هو شخصياً، وما مدى إلمامه بثقافة لغتي الانطلاق والوصول. حيث نجد ارتباطاً وثيقاً بين اللغة والثقافة؛ فكلاهما يعكس الآخر؛ أو يمكن تشبيههما

بالعملية المعدنية ذات الوجهين؛ فالرقم عليها هو اللغة والرسم في الجهة المقابلة الثقافة. واللغة هي لسان حال الثقافة الناطق بها والمعبر عنها.

ويكون للمترجم دور محوري في عملية التبادل الثقافي بين الشعوب عندما يكون مثقفاً ملماً بشتى المواضيع وبخاصة الموضوع الذي هو بصدد ترجمته، فهو بعمله المحترف يسعى دوماً إلى التقريب بين الثقافات المختلفة وتجنب التصادم الحضاري حيث يحاول التوفيق في ترجماته وقول ما قد قيل عند فئة لا يصح سماعه عند فئة أخرى، ولا يتحقق هذا التوفيق إلا إذا كان هذا المترجم "حلقة وصل بين عالمين أو شعبين مختلفين في اللسان والعادات والتقاليد، وربما حلقة وصل بين دائرتين حضاريتين مختلفتين في الأصل والمنشأ والمسيرة والتطور. لذلك يبرز دور المترجم على اعتباره الشخصية المزدوجة التي تجمع في فكرها ما اختلفت عليه الأمم والشعوب دون ذنب لها."² فاستناداً على فكره وثقافته الشخصية، يُنتج لنا المترجم نصاً مترجماً لا يجد فيه المتلقي النهائي له ما يتعارض وثقافته ومبادئه وبالأخص إن كان طفلاً صغيراً.

وعليه تقع على ثقافة المترجم كامل المسؤولية في نقل النصوص من لغات مختلفة، ولا سيما في ترجمة بعض الأعمال كقصص الأطفال التي تتطلب ثقافة ذات اتجاهات محددة. فدور المترجم لا يقتصر على النقل اللساني وحسب وإنما تتطلب عملية الترجمة هنا ثقافة خاصة في الاتجاه الذي يريد المترجم ممارسة نشاط الترجمة فيه.³ أي أن يدرك خصوصيات الطفل الذي سترجم له ويعي أيضاً مميزات الثقافة الذي ستولد فيها قصته حتى تكون ترجمته صحيحة، مقبولة ووظيفية.

3. التكيف الثقافي في ترجمة قصص الأطفال

1.3 مفهوم التكيف الثقافي وأشكاله: غالباً ما يحاول الإنسان المتعامل مع ثقافة جديدة التكيف معها ومع بيئتها وإلا انتابته حالة من الصدمة النفسية

تُدعى بالصدمة الثقافية؛ فيتولد لديه شعور بالحيرة والقلق وعدم الانسجام في المجتمع الجديد. وفي اللغة الإنجليزية الصدمة الثقافية 'Culture shock' هي: ...feeling of confusion or worry which is felt by people when they first come into contact with other people from a different culture or country. ⁴

وهذا ما يستدعي مني في هذا المقام الحديث عن قضية الثقاف والتتي هي "محمل الظواهر التي تنتج عن الاحتكاك الدائم والمباشر بين جماعات من الأفراد من ثقافات مختلفة مع التغيرات التي تحدث في النماذج الثقافية الأصلية العائدة لإحدى المجموعات أو للاثنتين معاً... وبحسب هذا التعريف يجب أن تُميز الثقاف عن التغير الثقافي والذي ليس سوى أحد مظاهره، وعن الاستيعاب الذي ليس سوى إحدى المراحل".⁵ وبعبارة أبسط إن الثقاف هو عملية امتزاج عدة ثقافات مختلفة في عقل امرئ ما، وما يحدثه ذلك من تأثير على ثقافته الأصلية التي وُلد فيها ونشأ عليها فيطرأ فيها تغيراً لا إرادياً واضحاً؛ وما يلبث أن يتكيف - بعد حين- هذا الوافد الجديد مع خصوصية ومميزات هذه الثقافة الجديدة وهذا ما يُدعى بالاستيعاب أو التكيف الثقافي. ولكن هذا التغير غالباً ما يكون جزئياً غير مطلق؛ لأن الإنسان السوي يسعى دوماً للتمسك بشخصيته وبهويته ولاّ انسلك في قالب جديد غريب عنه.

وإجمالاً؛ لا بدّ لنا من أن نُميز بين مصطلحي التكيف الثقافي والتكيف الثقافي فالتكيف يُشير إلى العملية التي يحصل من خلالها الفرد أو الجماعة على الخصائص الثقافية لفرد أو جماعة أخرى من خلال الاتصال المباشر والتفاعل. وهذا التعريف لا يُعنى بدراستي هذه كوني أبحث في أمر مخالف له نوعاً ما؛ فأنا لا أُحاول تشجيع الطفل العربي على التكيف ثقافياً مع الآخر الغريب عنه، وإنما أحث على جلب قصص أجنبي عليه ومتكيف على حسب ثقافته وذلك بعد ترجمته إلى اللغة العربية.

وبالتالي فالتكليف الثقافي خلال عملية الترجمة ما هو إلا جزء هام في عمل المترجم يقوم به إرادياً أو لا في إطار اللغة التي ولد في كنفها ودرج على التفكير والإحساس بها، وهي لغة لا تنفصل عن الأدب الذي قرأه والثقافة التي هي أسلوب حياته.⁶ فكل مترجم يقوم بالترجمة إلى لغة وفق عبقرية هذه اللغة؛ لأن ليس كل ما يصحّ قوله في لغة الضاد مثلاً نجد له مقابلاً مباشراً في لغة شكسبير والعكس صحيح...

ويتخذ التكليف الثقافي عدة أشكال أثناء عملية ترجمة القصص للأطفال كحذف أو إضافة بعض المقاطع في النص المترجم، وحتى في تغييرها أحياناً. ويرى محمد عبد الغني حسن في هذا الشأن "إن المترجم قد يلجأ إلى البتر والحذف وإهمال بعض العبارات المذكورة في النص الأصل لاعتبارات خاصة لديه كأن لا يؤدي شؤون قومه كترجمة مطاعن وجهها المؤلف الأجنبي سواء أكانت مطاعن في الدين أم في رسول هذا الدين أم في الكتاب المنزل عليه أم عادات القوم وتقاليدهم وأخلاقهم".⁷ والحاجة إلى التكليف الثقافي تكون أولى عندما تخص القضية جمهوراً حساساً كالأطفال وذلك باحترام معاييرهم المعرفية الثقافية واللغوية والأسلوبية. ولكن هل يجعل هذا التغيير من لدن المترجم في النص الأصل منه محرّفاً أو مضطراً؟

2.3 التكليف الثقافي بين الأمانة والخيانة: يلجأ العديد من المترجمين الذين اشتغلوا بترجمة القصص لأطفالنا؛ وفي كثير من الأحيان؛ وبهدف نقل الجيد والمفيد لهذا الجمهور المتلقي، إلى ممارسة نوع من الرقابة الذاتية على ما يُترجمون. وإذا كانت هذه الرقابة تنم عن روح مسئولية ووعي لدى مترجمينا إلا أن هذه القصص المترجمة سرعان ما تفقد الكثير من قيمها الجمالية بعد إعادة صياغتها وكتابتها ونقلها عشوائياً لتناسب مع واقعنا العربي والإسلامي.

وفي خضمّ نقله هذا؛ يتعرّض المترجم لعدّة انتقادات واتّهامات؛ وأولّها تلك المتعلقة بمسألة خيانة النصّ الأصلي وانتهاك لحقوق المؤلّف. وإذا كان المثل الإيطالي الشهير يصف كلّ مترجم بالخائن (Traduttore, traditore)؛ فإنّ مترجم قصص الأطفال من لغات أعجميّة وثقافات غربيّة إلى اللغة العربيّة وفي بيئةٍ شرقيّة يُعدّ نقيبهم، ليس له ذنب سوى أنّه واقع بين مطرقة ما يُريد أن يبثّه بين الأطفال العرب والمسلمين عن طريق تكييف هذه القصص ثقافياً حسب قالبه ونمط معيشته وبذلك يحفظ قيّمنا وقيم هذا المتلقّي الشرقي الصّغير، وبين سندان روح القصّة الأصليّة وأمانتها العلميّة والأدبيّة وما تحمله من معطيات ثقافة ما وراء البحار.

وكما هو معلوم، تندرج قصص الأطفال ضمن فئة النصوص الأدبيّة، وما يُميّز هذه النصوص هو جماليّتها وروحها الفنيّة عكس النصوص العلميّة الجافّة والتي تتميّز بالموضوعيّة وسرعتها في إيصال المعلومة لا غير. لذلك يتمتّع المترجم الأدبي بقدر كبير من الحرّيّة في التّعامل مع القصّة التي هو بصدد ترجمتها للطفل ويستطيع أن يكون أميناً وظيفياً في ترجمته؛ وبالتالي أن يحذف ويضيف وأن يركّب الكلام وفقاً للغة ووفقاً لثقافة هذه اللغة.⁸

نعم؛ يمكن لمترجم القصّة أن يكون أميناً في عمله بالرغم من تكييفه لها ثقافياً وهذا ما يُدعى بالأمانة الوظيفيّة المثمرة التي تهدف إلى ضمان وظيفيّة القصّة حتّى في اللغة الهدف؛ وهي هنا اللغة العربيّة، على العكس من الأمانة الشكليّة المتزمّنة التي تقدّس النصّ الأصل مؤلّفه من دون النّظر إلى عواقب هذه التّرجمة وفي ما مدى تقبّلها عند الجمهور المستهدف.

وحثّى ولو أنّهم مترجم قصص الأطفال بأنّه نقيب الخونة جرّاء ما يقوم به من خيانة في حقّ المؤلّف والمؤلّف؛ فخيانته ليست طوعيّة وإنّما هي جبريّة تفرضها

طبيعة النصّ الأدبي، وهذه الخيانة المبرّرة قد تتكرّر على طول الترجمة متأثرة بتجربة المترجم الذاتيّة، وبيئته الخاصّة، وثقافته المميّزة.

وإذا تحتمّ على مترجم القصّة الطفليّة إلى اللّغة العربيّة أن يكون أميناً فإنّنا لا نقصد بهذا أن يخضع خضوعاً مطلقاً للنصّ الأصلي وإنّما يُمكنه الإبقاء على بعض العلامات الأجنبيّة التي ليست محلّ خلاف بين الشّعوب ولا تخلق أزمة ثقافيّة أثناء ترجمتها؛ كأسماء العلم الأجنبيّة (بيتر، جولي، ساره،...) أو تواريخ الأعياد العالميّة (عيد العمّال، رأس السنّة،...) فبالنّسبة للمترجم العربيّ للقصص الأجنبيّة الحقّ في تغيير بعض المعطيات الشّائنة الواردة في هذه النصوص ولكن دون التّماهي أو الإفراط في تحوير القصد من خطاب المؤلّف. لأنّ هدف المترجم الأسمى - في أيّ لغة من اللّغات كانت - يبقى دائماً وأبداً أن تكون ترجمته وظيفيّة في اللّغة الهدف، وأن تؤدّي دورها كما أدّاه النصّ الأصلي في لغته الأم.

كما يعني التّصرّف ومن ورائه التّكييف الثقافيّ في النصّ الأصل إعادة إبداع وإعادة خلق نصّ جديد في اللّغة الهدف. لكن التّصرّف المفرط يمكن أن يؤدّي إلى انحرافات وانزلاقات خطيرة تمسّ جوهر المعنى المراد تبليغه. يجب إذن أن يكون التّصرّف محسوباً، وأن يكون بالأساس مبرّراً لأنّه متى استعمل بتروّ ساعد على حلّ مشاكل عدم تقابل اللّغات والثّقافات وتغيّر ظروف التّلقي في اللّغة الهدف وأسهم أيضاً في ربط التّواصل بين المترجم والقراء في اللّغة المترجم إليها.⁹

Translations of children's texts vary in the degree to which they are adapted to the intended readers. It's recommended that the source text has to be manipulated as little as possible in translation to maintain consistency in readability and interest...¹⁰

وان اضطر المترجم في بعض الأحيان إلى خيانة النصّ الأصل فهو بشكل ما التزام من طرفه، "الالتزام بقواعد الثّقافة المستقبلة وأعرافها وتقاليدها. وهذا النّوع

من الالتزام بوصفه (خيانة)، أو خيانة بوصفها التزاماً، هو العتبة الذي تُشرع فيها الترجمة إمكانات الحوار مع النصوص الغريبة.¹¹ وهذه العتبة ما هي سوى تكييف لهذه النصوص الغريبة ثقافياً وتوطينها حتى يألفها القارئ صغيراً كان أو كبير.

3.3 التكييف الثقافي وجه آخر لتوطين القصة: غالباً ما يُستخدم مصطلح

التوطين Domestication للإشارة إلى تكييف السياق الثقافي أو إلى تكييف بعض المصطلحات المحددة لثقافة مغايرة حتى تكون في ألفة مع ما تعود عليه قارئ هذه الترجمة في ثقافته وبيئته. إذن يُحاول المترجم بهذا التكييف المتعمد أن يُوطن المتلقي من خلال قراءته فلا يشعر بالغربة ولا بالغربة جرّاء فعلته. أمّا مصطلح التغريب Foreignization فهو إشارة على تمسك المترجم ببعض العلامات الأجنبية المميّزة للكاتب والتي وردت في نصّه الأصل والخاصة بثقافته بالأساس (كأسماء العلم مثلاً). والتي يجهلها تماماً القارئ الجديد للنص أو للقصّة في حالة الطفل العربي الصغير، ولكن لا ضير في تركها على حالها كونها لا تُشكّل صدمةً ثقافيةً له، بل بالعكس تُثري خياله وتُسهّم في تثقيفه إيجاباً وبتعريفه على الغير المختلف.¹²

بل يعدّ هذا الترك أحد أهداف ترجمة كتب وقصص الأطفال؛ فهو يُسهّم في توسيع دائرة التفاهم بين شعوب الغد في ظلّ الاحترام المتبادل ولكن شريطة دراسة معمّقة للسياق الثقافي الأجنبي.

ففي السياق ذاته، وتأكيداً لما سبق، تُسهّم عملية ترجمة أدب الأطفال سواءً أكانت موطنه أم مغربةً إلى التعريف والتعرّف على أساليب وطرق عيش الأطفال المتنوّعة في كلّ أرجاء العالم.

...The transfer of literature from one language into another or from one culture into another introduces the various images of childhood in different parts of the world...¹³

ويتمثل الهدف من توطين النص المترجم الذي يسعى إليه مترجمه كما يعتقد أكبر دعاة هاتين الطريقتين المتقابلتين الإستراتيجيتين في عملية الترجمة الأمريكي لورنس فينوتي Lawrence VENUTI (1953م) في شرح وإزالة اللبس عن المعالم الثقافية المختلفة عن الجمهور المستهدف حتى تصير مفهومة لديه ومقبولة في ثقافته وعلى حسب لغته.

"... a cultural other is domesticated, made intelligible, but also familiar, even the same, encoded as it is with ideological cultural discourses circulating in the target language."¹⁴

والتوطين هو بالضبط هدف التصرف في الترجمة، الذي يسعى من ورائه المترجم إلى حفظ ألفة القارئ للنص الجديد، فلا يشعر بالغربة مما يقرأ وخاصة إذا كان طفلاً صغيراً.

وكثيراً ما يتماشى مفهوم التوطين مع الترجمة التي تبجل الجمهور المستهدف؛ أي ترجمة تواتي أنصار النص الهدف. عكس الترجمة التي تقدس النص الأصل. وإذا كان أدب الطفل لا ينهض إلا بمقومات خاصة تأخذ بعين الاعتبار هذا الإنسان الخاص بجوانبه ومكوناته، فإن الترجمة له أيضاً لا يمكنها أن تقوم لها قائمة إلا بمعايير ومقومات محددة وخاصة.

To adapt a text is, in fact, to domesticate it for specific purposes and readers...¹⁵

والغربة عكس التوطين والألفة؛ هي المؤشر الذي من شأنه تحديد ما مدى إمكانية تدخل المترجم في تكييف النص المراد ترجمته. فكلما تواجدت في القصة الأجنبية عناصر ثقافية وإيديولوجية غريبة عن الطفل العربي أو لا تمت لواقعه بصلة، إلا وجاز للنّاقل أن يولّد نصاً جديداً في وطنه الجديد.

The degree of intervention depends on the degree of strangeness the children can be exposed...¹⁶

كما لا يمكننا أن نغفل على حقيقة مهمة وهي أن الطفل الصغير هو متلق جديد لقصة جديدة كتبت بلغته الأم، قد يعجبه أحيانا الغريب الوارد فيها وقد يستهجنه ولا يستسيغه أحيانا أخرى.

4.3 التكيف الثقافي خدمة للمتلقي الصغير: يُعد المتلقي في الدراسات الأدبية الحديثة العنصر الرئيسي في قيام العملية التواصلية، إذ يزعم مؤسسو نظرية التلقي أن عملية الفهم للخطاب لا يمكن أن تتم إلا بوجود القارئ النهائي له وما مدى استجابته له وانفعالاته.

ومترجم القصة الطفلية عن لغة أجنبية يُعد بدوره متلقيا جديدا لها كغيره من قرائها في اللغة الأصل التي كتبت بها، إلا أنه يزيد عن ذلك - ويقوم بدور الوسيط - فهو يقوم أيضا بنقلها إلى لغة أخرى مختلفة حتى يتلقاها متلق آخر بهدف أن تتوافق طموحات قراءته للقصة المترجمة مع طموحات وتوقعات الطفل قارئ النص الأصل وتُدعى هذه العملية بالتلقي الترجمي؛ "حيث ينتقل النص من لغة الأصل إلى لغة أخرى عبر عمليات ذهنية يقوم بها المترجم معتمداً على ثقافته ومعارفه لممارسة هذه العملية وتحقيق هذا النقل، فيجعل قارئه الجديد في ألفة مع النص المترجم نظراً للنقل الذي أنتج بطريقة محكمة فيجعل النص الأصلي قد تحول إلى نص آخر يعيش في سياق وثوب يلائمان القارئ الجديد ويتماشيان وثقافته".¹⁷ وما يُقصد به هنا بالملاءمة هو ذلك التكيف الذي يلجأ إليه الكاتب الثاني للنص الأصل؛ من أجل أن يُستوعب ويُقبل عند الطفل المستهدف بالقصة المترجمة، مستنداً أولاً وقبل كل شيء على ثقافته ثم على حقيقته اللسانية واللغوية والنحوية.

وهذا الاستيعاب من لدن القارئ مهما كان سنّه؛ هو بالضبط ما تدعو إليه نظرية التلقي أو نظرية القراءة والتقبل، التي ترى أن أبرز عامل على الكاتب أو

المترجم أن يهتم له خلال كتاباته هو ذلك التفاعل الذي سينتجه مؤلفه بينه وبين القارئ المتلقي لهذا المنتج.¹⁸ فمتى تحقق الفهم لدى مستقبل الترجمة طفلاً كان أو راشداً، كانت الترجمة مقبولة وصحيحة ووظيفية في لغة الوصول.

فإذا كانت صفة المتلقي لصيقة بمرجم النصوص الأدبية، فإن مترجم القصص الأجنبية للأطفال العرب يُعد متلقياً لهذه القصة قبل أن يكون مترجماً. يقرأها بنفسه هو قبل أن يفعل ابنه أو ابنته، ثم يحكم على ما مدى جودتها وتوافقها مع ما دأب عليه من أخلاق وعادات مجتمعة، ثم يرى إن كانت قراءته إياها فيها خيراً لأبنائه متحملاً كامل المسؤولية الاجتماعية، أو يُعدل فيها فيرونها هو كما تقتضي ثقافته أولاً، مُحافظاً بالطبع قدر الإمكان على الخطوط العريضة للقصة الأجنبية.

كما تلعب نظرية الاستقبال أو التلقي Rezeptionstheorie دوراً أساسياً في الحكم على ترجمة قصة من الغرب إلى العرب بالصّلاح أو الفساد، نظراً لاختلاف نظرة المتلقي العربي في استقبال عمل مترجم عن القارئ الأوروبي. فهناك بعض الأعمال التي يصعب ترجمتها للقارئ العربي لما تحتويه على مقاطع فاضحة رغم نجاحها وشهرتها في الغرب. حيث أن نجاح الأعمال الأدبية لدى العجم لا يعني بالضرورة نجاحها عندنا نحن العرب كمجتمع شرقي محافظ كقصة سجين زندا مثلاً...

وإجمالاً، يجب على المترجم، مهما كانت صفة ونوع النص الذي هو بصدد ترجمته أن يأخذ في الحسبان طبيعة الجمهور المتلقي لعمله أو كما تقول المترجمة الفنلندية ريتا أويتينين Riitta OITINEN (1952م):

"All translators, if they want to be successful, need to adapt their texts according to the presumptive readers."¹⁹

فإذا كان التصرف في ترجمة أي نصوص شرطاً لنجاح العمل المترجم، فهو في ترجمة الأدب الخاص بالطفل وقصصه بالتحديد أفصح ردّ وأكبر شفيح له أمام النقاد نظراً لتوقعات القراء المستهدفين وفي ما مدى تحقيق المقروئية لديهم. وفي السياق عينه، ثُمّايز أوتينين بين ترجمة أدب الأطفال والترجمة للأطفال بحدّ ذاتهم.

"I prefer to speak of translation for children instead of the translation of children's literature as translators are always translating for somebody and for some purpose."²⁰ ممّا يعني أنّ الجمهور المتلقّي خلال ترجمة قصص الأطفال ذو أهميّة بالغة في العملية التّرجميّة ثمّ في العمليّة التّواصلية، شأنه في ذلك شأن جميع الجماهير الأخرى المتلقّية للنصوص الأخرى حتّى وإن كانت مقدّسة. وفي تعريف بليغ لها ارتأينا أن يكون خلاصة هذا العنصر؛ تحدّد الباحثة الأسترالية مفهوم التّرجمة للأطفال بأنّها هي تلك العمليّة التي تدرس النّصّ الأصل دراسة معمّقة، هدفها تبليغ المعنى للطفل بطريقة مباشرة عن طريق تفكيكه ثمّ تحويله - تكييفه - ؛ بمعنى خياطة النّصّ على مقاس الجمهور المتلقّي له. وعليه نجد أنّ هذا التعريف قد جمع ورّتب جميع المراحل التي يتبعها مترجم قصص الأطفال بغية نجاح عمله.

"Translation for children is, in effect, pre-consumption of the text; its goal is to make the content as explicit as possible, and as such involves recodification, transfer of meaning, and tailoring of the text to the target audience."²¹

4. أمثلة تطبيقيّة عن نقل ثقافة القصص الأجنبي للطفل العربيّ المسلم:
فيما يلي بعض الأمثلة عن تكييف المعطيات الثقافيّة الغريبة عن الطفل العربيّ والمتواجدة في القصّة الأجنبيّة:

أ- الأصل:

"Flora blessed her with the gift of beauty and Fauna provided the gift of song"²²

التَّرْجُمَة: فأعطتها ريحانة هبة الجمال، وريانة موهبة الغناء.

التَّعليق: ترجمة حرفية لا تخدم القارئ العربي الصغير لأننا كمسلمين ندرى أن من يرزق النعم والهبات كهبة الجمال وهبة الصوت العذب هو الله سبحانه وتعالى. فحبذا لو تُرجمت العبارة الإنجليزية السابقة كالتالي مثلاً: فتمنّت لها ريحانة الجمال، ودعت لها ريانة بعذوبة الصوت.

ب- الأصل:

"Il les mena avec leur mère, et trois ou quatre de leurs meilleurs amies, et quelques jeunes gens du voisinage, ..."²³

التَّرْجُمَة: "وجّه الدّعوة إليهما معاً، لتقضيا مع أسرتهما..."²⁴

التَّعليق: في قصّة اللّحيّة الرّقاء؛ استبدل المترجم المصري كامل الكيلاني الواقع الغربي بالواقع العربي. لأنّ التّرجمة الحرفيّة لهذا المشهد من شأنها أن تفتن الطّفل العربي عن ثقافته وعاداته الإسلاميّة المحافظة. فلم يرض أن تذهب الفتاتان بطلتا القصّة لوحدهما مع أمّهما وشلّة من صديقاتها وبعض الجيران الغرباء إلى بيت الرّجل ذي اللّحيّة الرّقاء كونه رجل أجنبي. فلجأ إلى تكييف الزّيارة ثقافياً بقوله أنّهن ذهبن برفقة أسرتهما، وعليه يمكن أن يكون الأب أو أحد المحارم ضمن هذه الأسرة المستضافّة.

ت- الأصل:

"...and gently kissed his true love. Her eyes opened...

The spell was broken!"²⁵

التَّرْجُمَة: "...وقبل الأميرة بلطف، ففتحت عينيها ... لقد زالت اللّعنة!"

التعليق: مع أن مكان القُبلة في قصة 'الأميرة النائمة' لم يُحدد بدقة لا في الأصل ولا في الترجمة، إلا أنه من الشائن وصف مثل هذه المشاهد للبراءة وحصر عواطف الحب بين رجل وامرأة فقط. وهنا نفتح قوساً للإشادة بفكرة آخر فيلم من بطولة الممثلة الأمريكية أنجلينا جولي 'Maleficent' حيث أن القُبلة البريئة على الجبين من طرف أي شخص مُحِبٍّ بحق يُمكن لها أن توقظ الأميرة النائمة من سباتها العميق. أمّا فيما يخص ترجمة العبارة الإنجليزية للغة العربية فنقترح مثلاً المقابل: 'فلماً سمعت صوته الحزين، فتحت عينها.'

ث- الأصل:

"Porte-lui une galette et ce petit pot de beurre"²⁶

الترجمة: 'هل تذهبين يا ليلي إلى بيت جدّتك، ومعك سلّة فيها نصيبها من كعكنا؟'²⁷

التعليق: لجأ كامل الكيلاني إلى تكييف الواقع الغربي في قصة 'ليلي والذئب' حيث لم تجر عادة العربيات لا قديماً ولا حديثاً في إرسال وعاء من الزبدة أو المربى لجاراتهن أو قريباتهن، وإنّما نجد إهداء الكعك أكثر ألفة لدى الطّفل العربي الصّغير كما نجد أن الأم قامت بتحضير هذا الكعك بمناسبة العيد وفكرت في أن تُرسل نصيب والدّتها عن طريق ابنتها ليلي. وبذلك تُحقّق غايتين خُلقيتين عظيمتين في الإسلام؛ أولاهما التّهادي وثانيهما حتّ الطّفل صغير السنّ على صلة الأرحام فينشأ عليهما طول حياته.

ج- الأصل:

"...de la vaisselle d'or et d'argent..."²⁸

الترجمة: تكييف المقطع عن طريق الحذف.

التعليق: وفي قصة الرّجل ذي اللّحية الرّقاء؛ ولأنّ الأكل في أواني من فضّة أو ذهب منهّي عنه في ديننا الحنيف، فقد ارتأى الكيلاني إلى حذف المقطع الذي يتحدّث عن الأواني التي تخصّ البطل الغنيّ في النّسخة المترجمة.

ح- الأصل:

"...he would give the boy an obligation to set him free in ten years if he turned Christian. ...I let the captain have him."²⁹

الترجمة: "...فأعلن (القبطان) أنه مستعد أن يتعهد خطياً بأن يُحرّر 'كسوري' بعد عشر سنوات..."³⁰

التعليق: في قصة مغامرات كروزو لروبنسون ديفوا؛ قام المترجم العربي أكرم الرافعي بالإبقاء فقط على الشقّ الأوّل من الشرط المتمثّل في مدة عشر سنوات بينما كان من الأجدر تبديل الشقّ الثّاني - وليس حذفه - من اعتناق النّصرانيّة إلى تكييفه بالقول مثلاً تعلّم الكتابة والقراءة. فيتحقّق عندئذ الهدف التّعليمي والتّربوي للقصة ويعي الطفل المتلقّي أنّ العلم هو السّبيل الوحيد لنيل الحرّيّة.

5. النتائج والتوصيات: ما وِدِدْتُ إثباته من خلال هذه الدّراسة هو إلقاء الضّوء على الأخطاء النّاتجة عن التّرجمة الحرفيّة للعناصر الثّقافيّة التي لا تتناسب مع ثقافة الطّفل العربيّ. وأنّه؛ يتوجّب على مُترجم قصص الأطفال أكثر من ذلك الذي يكتب أو يُترجم للرّاشدين تحليل الوضع الخارج عن النّص، الثّقافة التي سيحلّ النّص فيها وخصوصياتها. باختصار اقترح لباس يندمج اجتماعياً في لغة وثقافة المتلقّي الصّغير. هذا مع البقاء على الوفاء للنّص الأصلي قدر الإمكان. وعليه، خلّصَ البحث هذا وبعد محاولتي الإجابة عن إشكاليّة نقل ثقافة القصص الأجنبية لأطفال العرب والمسلمين إلى عدّة نتائج وهي:

- ضرورة استخدام استراتيجيات مختلفة ومبتدعة أثناء ترجمة قصص الأطفال في الوطن العربيّ وذلك عن طريق تكييفها ثقافياً بالتّغيير أو بالإضافة أو بالتبسيط أو بالإيجاز وأخيراً بالحذف، كلّ ذلك من أجل تقريب القصة للبيئة العربيّة.

• إمكانية وضع تقديم نقدي في بداية القصة المترجمة - أو على الغلاف الخارجي- يُعرّف القراء الصغار وأولياهم بالكتاب الأجانب وبمجتمعاتهم وثقافتهم المختلفة عنّا حتّى يكونوا على دراية تامة بالمسألة الحساسة قبل اقتناء القصة.

• قيام أقسام ومعاهد الترجمة في الوطن العربيّ بتخصيص مقياس متخصص في تدريس ترجمة كتب وقصص الأطفال؛ لتدريب المترجمين وتأهيلهم للترجمة في هذا المجال.

• التعرف على الاتجاهات الثقافية لكل مترجم لتحقيق الأهداف المنشودة في جميع مجالات المعرفة والقيام بتنظيم برامج ثقافية في الاتجاه الذي يرغب المترجم المتخصص في ممارسة نشاط الترجمة فيه، بحيث يتلقّى تكويناً معرفياً وثقافياً على يد السّباقيين والمتخصصين في هذا الميدان.

• الاحتكاك اليومي للمترجم بالأطفال؛ لأنّ ذلك من شأنه أن يضيف إلى مواده المترجمة أشياء غنية وأسراراً كثيرة لا يعلمها ولا يفهمها سوى الأطفال أنفسهم. فالمترجم الحقيقي لقصص الأطفال لا يقدر أن يقتنع بترجمته لهم ما لم يحتكّ بهم.

• الترجمة المباشرة لقصص الأمم والشعوب المجاورة لنا، وخصوصاً الإفريقية والآسيوية: كالفرس والأكراد والأتراك وأقوام إفريقيا السوداء، لأنّ القيم التي نجدها في قصصهم تكاد تكون مشابهة لما ندعو له نحن في أدبنا الطفولي. كما أنّ واقعهم لا يختلف كثيراً عن واقعنا العربيّ وفي كلّ بلدان العالم الثالث. ولا ضير أن تمتدّ هذه الترجمة إلى أعمال الدّول المتطوّرة التي لا تسعى وراء الغزو الثقافيّ؛ كاليابان والصّين على سبيل المثال. فغالباً ما تدعو القصص اليابانية إلى غرس قيم التّضحّيّة والعمل الجماعي وتقديس روح الأسرة واحترام الكبير ومساعدة الصّغير، وهي الصّفات نفسها التي ندعو إلى ترسيخها لدى الطّفل عندنا.

• ضرورة الاستزادة والتعمق في الدراسات التي تتناول ترجمة قصص الأطفال في شقيها النظري والتطبيقي، وتشجيع الدولة ممثلة في مؤسساتها التعليمية هذه المبادرات المعرفية.

وصفوة القول؛ ليست ترجمة قصص الأطفال عن الغرب سوى تكييف ثقافي لها، ولكن هذا التكييف لا بد أن يتوفر فيه عنصر الإبداع والابتكار لكي يُلبي غرض الترجمة الأساسي الذي يتمثل في إيصال المعنى الأولي على أتم وجه حتى لا يُحسّ الطفل؛ ولا لحظة؛ أنه بصدد قراءة قصة مترجمة مبركة، أو بعبارة أخرى: ضرورة ترك في نفس المتلقي العربي المسلم الصّغير الانطباع والإحساس عنيهما الذي يشعر به قارئ القصة الأصلية في لغتها الأم.

6. قائمة المراجع:

1. دانيال ديفوي، روبنسون كروزو، ترجمة أكرم الرافعي، دار العلم للملايين بيروت لبنان، 1994.
2. راتب مشلب، موسوعة المترجمان المحترف، صناعة الترجمة وأصولها، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.
3. عبد الحميد مرزوق، ثقافة المترجم وصحة الترجمة، من كتاب: الترجمة والثقافة بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب الحديث، 1430هـ/ 2009م.
4. كامل الكيلاني، اللحية الزرقاء، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة مصر 2011.
5. كامل الكيلاني، ليلي والذئب، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر 2011.
6. مارتين عبد الله بريتساي، التربية والتداخل الثقافي، ترجمة جورجيت الحداد عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003.
7. مؤلف مجهول الاسم، Sleeping Beauty، سلسلة حكايتي الصغيرة هاشيت أنطوان، بيروت، لبنان، 2016.
8. محمد عبد الغني حسن، فن الترجمة في الأدب العربي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1969.
9. محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون الشراكة المصرية العالمية للنشر، لونغمان
10. Charles PERRAULT, Contes, Maxi poche classique français, Booking International, Paris, France, 1993.
11. Clifford E. LANDERS, Literary Translation: A Practical Guide, Clevedon, U.K, Buffalo: Multilingual Matters, 2001.
12. Daniel DEFOE, Robinson CRUSOE, Penguin books, 1994, London, U.K.

13. Gillian LATHEY, The Translation of Children's Literature, A Reader, Clevedon, Buffalo, Toronto, Multilingual Matters, 2006, p 143.
14. Helen T. Frank, Cultural Encounters in Translated Children's Literature, Images of Australia in French Translation, St Jerome Publishing, Manchester, U.K, 2007.
15. Isabelle NIERES-CHEVREL, Introduction à la littérature de jeunesse, édition Didier Jeunesse, collection Passeurs d'histoires, Paris, France, 2009.
16. Lawrence VENUTI, Genealogies of Translation Theory: Schleiermacher, TTR 42, 1991.
17. Oxford Learner's Pocket Dictionary, Oxford University Press, U.K, Second Edition, 1991.
18. Riitta OITTINEN, Translating for children, Garland, New York, U.S.A, 2000, p 78.
19. www.aliraqnews.com
20. www.aslimnet.net
21. www.atida.org
22. www.benjamins.com
23. www.ingdz.net

7. الهوامش:

1. Isabelle NIERES-CHEVREL, Introduction à la littérature de jeunesse, édition Didier Jeunesse, collection Passeurs d'histoires, Paris, France, 2009, p 181.
2. عبد الحميد مرزوق، ثقافة المترجم وصحة الترجمة، من كتاب: الترجمة والثقافة بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب الحديث، 1430هـ/ 2009م، ص 555.
3. يُنظر المرجع السابق، ص 557.
4. See Oxford Learner's Pocket Dictionary, Oxford University Press, U.K, Second Edition, 1991, p102.
5. مارتين عبد الله بريتساي، التربية والتأثير الثقافي، ترجمة جورجيت الحداد عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص 18.
6. يُنظر محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون الشرعية المصرية العالمية للنشر، لوزمان، ص 218.
7. محمد عبد الغني حسن، فن الترجمة في الأدب العربي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1969 ص 57.
8. يُنظر راتب مشلب، موسوعة الترجمان المحترف، صناعة الترجمة وأصولها، دار الراتب الجامعية بيروت، لبنان، ص 44- 59.
9. يُنظر عبد اللطيف هسوف، مبادئ يجب مراعاتها في الترجمة الصحافية، http://www.atida.org/index.php?option=com_content&view=article&id=155 (13/07/2012- 23:57)
10. See Helen T. Frank, Cultural Encounters in Translated Children's Literature, Images of Australia in French Translation, St Jerome Publishing, Manchester, U.K, 2007, p 15.
11. حسن ناظم، الترجمة والتأثير الثقافي، شبكة أخبار العراق <http://aliraqnews.com/?p=124376> (23/07/2017- 20:11)
12. يُنظر أوتي بالوبوسكي، التوطين والتغريب، ترجمة عبد الإله الوردی ولينا الإدريسي المولي وزهراء إجرحف <https://benjamins.com/online/hts/articles/dom1.ar> (29/07/2017- 21:37)
13. See Gillian LATHEY, The Translation of Children's Literature, A Reader, Clevedon, Buffalo, Toronto, Multilingual Matters, 2006,

- p 143.
14. Lawrence VENUTI, Genealogies of Translation Theory: Schleiermacher, TTR 42, 1991, p 127.
15. See Helen T. FRANK, P.b– cit, p 16.
16. See Clifford E. LANDERS, Literary Translation: A Practical Guide, Clevedon, U.K, Buffalo: Multilingual Matters, 2001, p 108.
17. نوال مجاهدي، مساهمة نظرية التلقي في تطوير أساليب الترجمة
http://www.aslimnet.net/div/2005/n_mojahidi.htm (29/01/2008– 22:57)
18. يُنظر جميل حمداوي، منهج التلقي أو نظرية القراءة والتقبل
<http://www.ingdz.net/vb/showthread.php?t=52560> (14/07/2017– 21:32)
19. Riitta OITTINEN, Translating for children, Garland, New York, U.S.A, 2000, p 78.
20. Riitta OITTINEN, S.b –Cit, p 69.
21. Helen T. Frank, P.b –Cit, p 13.
22. مؤلف مجهول الاسم، Sleeping Beauty، سلسلة حكايتي الصغيرة هاشيت أنطوان، بيروت، لبنان، 2016.
23. Charles PERRAULT, Contes, Maxi poche classique français, Booking International, Paris, France, 1993, p 115.
24. كامل الكيلاني، اللحية الزرقاء، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 2011، ص 13.
25. Sleeping Beauty.. م.ن.
26. Charles PERRAULT, P.b –Cit, p 109.
27. كامل الكيلاني، ليلى والذئب، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 2011، ص 6.
28. Charles PERRAULT, P.b –Cit, p 115.
29. Daniel DEFOE, Robinson CRUSOE, Penguin books, 1994, London, U.K, p 38.
30. دانيال ديفوي، روبنسون كروزو، ترجمة أكرم الرفاعي، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، 1994، ص 25.